

بسم الله الرحمن الرحيم

فقه السيرة النبوية - الدرس : 20 - عام الحزن .

12-09-2005

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم, ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

ما هو المنهج العلمي الذي يمكن أن نستنبطه من سيرة النبي ؟

أيها الأخوة الكرام، مع درس جديد من دروس فقه السيرة النبوية، ولا يخفى عن الأخوة الكرام أن العبرة من هذه الدروس أن نستنبط من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن سيرته، ومن مواقفه القواعد الصحيحة في التعامل، بل إن الأحداث التي وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقعت وهي مقصودة لذاتها، وقعت ليقف النبي صلى الله



الرسول أسرتنا في سلوكنا

عليه وسلم منها موقفاً كاملاً يعبر به عن سلوك يرضي الله عز وجل.

ذلك أن الحقيقة حينما يعبر عنها بالسلوك تكون أقوى في التأثير، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لها وجه آخر، وهو أن هناك مثالية حالمة، هناك من لا يلتفت إليها، يقول: ليست واقعية، فالنفس تبتعد عن المثالية الحالمة، وعن الواقعية المقيتة، ولكن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تجمع بين المثالية والواقعية بحق يمكن أن نسميها واقعية مثالية، أو مثالية واقعية، والناس لا يتعلمون بأذانهم فحسب، بل يتعلمون بعيونهم، ولعل موقف النبي صلى الله عليه وسلم الموقف العملي أبلغ في الدلالة على فهم النبي في كتاب الله من كلامه، الموقف العملي حدي، بينما الكلام يحتمل التأويل.

فرأبي في موضوع إذا كان كلامياً فكلامياً يحتمل التأويل، بينما إذا كان رأبي في الموضوع سلوكياً، السلوك حدي، من هنا جاءت قيمة فقه السيرة النبوية، والنبى كما تعلمون صلى الله عليه وسلم مشرّع في أقواله، وفي أفعاله، وفي إقراره، وفي صفاته، وألصق شيء في حياتنا من هذا الدين العظيم سيرة النبى عليه الصلاة والسلام.

## ما معنى أن رسول الله أسوة حسنة لنا ؟

أيها الأخوة، نحن نتعلم من سيرة النبى الشيء الكثير، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال:

**﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**

(سورة الأحزاب الآية: 21)

لأن الله جعله أسوة حسنة أذاقه كل شيء، أذاقه الفقر قالت عائشة رضي الله عنها:

**(( دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَنِي**

**صَائِمٌ))**

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أذاقه الغنى،

**((سأله رجل: لمن هذا الوادي من الغنم؟ قال: هو لك، قال: أتتهزأ بي؟! قال: لا، قال: أشهد أنك تعطي**

**عطاء من لا يخشى الفقر، أشهد أنك رسول الله ))**

[أخرجه مسلم في الصحيح]

أذاقه القهر في الطائف، كذبوه، وسخروا منه، وأغروا صبيانهم بإيذائه، فقال دعاه المشهور:

**(( إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى ))**

[ورد في الأثر]

أذاقه النصر في فتح مكة، فسألهم:

**(( ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء ))**

[ورد في الأثر]

أذاقه موت الولد، فقال:

**(( إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون ))**

[أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنهما في الصحيح]

أذاقه موت الزوجة، وأذاقه تطلق البنات، وأذاقه الهجرة، لأن الله سبحانه وتعالى أذاقه كل شيء وقف الموقف الكامل.

أخوتنا الكرام، حقيقة دقيقة جداً، ليست بطولتك ألا تصاب بمصيبة، ولكن البطولة أنه إذا أصابتك مصيبة أن تقف الموقف الكامل منها، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا كيف تقف من هذه المصائب الموقف الكامل؟.

### المصيبتان الكبيرتان اللتان دخلتا على النبي في السنة العاشرة من بعثته:



وننتقل في سيرته صلى الله عليه وسلم إلى حادثين مأساويين مؤلمين وقعا في السنة العاشرة، حتى سمي كتاب السيرة السنة العاشرة عام الحزن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فقد إنسانيين، الأول سنده من الداخل، والثاني سنده من الخارج، فَقَدَ خديجة زوجته الحبيبة، وَقَدَ عمه أبا طالب الذي كان داعماً له في مكة.

فكانت مصيبة النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة بوفاة عمه أبي طالب، وزوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، في آخر السنة العاشرة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن غادر المسلمون، هذه بعد المقاطعة التي استمرت سنوات ثلاث، وكان أبو طالب يحوط النبي ويغضب له.

### كل مقدر آت:

أيها الأخوة، النبي عليه الصلاة والسلام في السنة العاشرة للهجرة أصيب بمصيبتين كبيرتين، لكن يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم دائماً، حينما قال مرة:

**(( لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً ))**

[ أخرجه مسلم في الصحيح ]

الحقيقة الناصعة أن الله وحده حي وبق على الدوام، وأن كل حال يزول، وأن كل مخلوق يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، صدق القائل:

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

وإن كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم أنك بعدها محمول

أيها الأخوة الكرام، أنتم كمؤمنين حينما توطنون أنفسكم على أن هذه الدنيا دار ابتلاء، منزل ترح لا منزل فرح، إذا أيقنا أنها دار ابتلاء لا نفاجاً، هكذا.

## المصائب التي تصيب المؤمن حتى ترفعه إلى بلوغ المقام:

### 1- مصيبة الدفع:

أيها الأخوة، المصائب التي تصيب المؤمنين، قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(سورة البقرة الآية: 155-157)

مصائب المؤمنين مصائب دفع أو رفع، ضعفت همته، أفرغت صلاته من الخشوع، قرأ القرآن فلم يشعر بشيء، تأتيه شدة تحته على مضاعفة جهده، تتعقد صلته بالله عز وجل، يكون قد قفز قفزة، قفز وتابع، فكلمنا ضعفت همته، وكلما بطأ سيره، وكلما لانت إرادته، تأتيه شدة تدفعه إلى الله عز وجل، تعزز مسيرته، تقوي إرادته، تسرع خطاه إلى



الله عز وجل، هذه مصيبة الدفع، لذلك ورد في الأثر: " أن أوحى ربك إلى الدنيا أن تشددي، وتكذري، وتضيقي على أوليائي حتى يحبوا لقائي "

أيها الأخوة، رجل كان شارداً عن الله شروداً كثيراً، أصيب بأزمة قلبية، ودخل في العناية المشددة، وألقي في رُوعه أنه سيموت، فناجى ربه، وقال: يا رب، لا أريد أن أقابلك عرياناً وبلا عمل صالح، أعطني مهلة كي أقابلك على عمل صالح، مد الله في عمره، التزم، درس، تعلم، جاء إلى مسجدنا، تأثر كثيراً، ندم كثيراً، بكى كثيراً، قال لي مرةً وأنا أناجي ربي قلت: يا رب، كل هذه السعادة التي منحتني إياها عقب هذا المرض العضال، لم لم ترسل لي هذا المرض قبل عشر سنوات؟ من شدة سعادته. يد الله يد رحيمة، يد كريمة، يد معطاءة، يد الله تعمل في الخفاء، ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، الحزاني في كنف الله، الحزاني معرضون إلى الرحمة، إن الله يحب كل قلب حزين، الحزن

خلاق، الحزن يصنع البطولات، يصنع الأمجاد، ولكن الرخاء، والغنى، والصحة، ماذا تفعلان بالإنسان؟  
لا تفعل شيئاً.

## 2- مصيبة الرفع:

أيها الأخوة، هناك مصيبة أيضاً تصيب المؤمنين، اسمها مصيبة الرفع، له عند الله مقام لم يبلغ هذا المقام بعمله الصالح، عمله أقل من بلوغ هذا المقام، فساق الله له شدة، إن صبر عليها ارتقى إلى هذا المقام، والآية المتعلقة بالمؤمنين هي قوله تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(سورة البقرة الآية: 155-157)

## المصائب التي تصيب الكفار والمشركين:



أيها الأخوة، أما الكفار والمشركون فمصائبهم  
نوعان:

1- مصائب ردع.

2- مصائب قسم.

إذا في المليون واحد فيه الخير فمصيبته ردع،  
وإن علم الله أنه لم ينتفع بهذه المصيبة، قال  
تعالى:

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

(سورة هود الآية: 36)

تأتي مصيبة القسم، يبطش الله به، للكفار والمشركين المصيبة مصيبة ردع إن كان ثمة بقية خير فيهم،  
أو قسم حتى ينتهي كلياً.

## المصائب التي يبئلى بها الأنبياء:

أيها الأخوة، بقيت مصائب الأنبياء والمرسلين، هذه مصائب كشف، هؤلاء قمم البشر، ينطوون على  
كمال لا يظهر أبداً بالأحوال العادية.

إنسان يمشي على قدميه ليس في الشام، في الحجاز، درجة الحرارة 56، بلاد لا نبات فيها، جبال وصحارى، والحر لا يحتمل، في هذه البيئة القاسية الحارة مشى النبي على قدميه إلى الطائف، كم كيلو قطع؟ 80 كم، من هنا إلى النبك مشياً على القدمين، والجبال عالية، والطرق وعرة، وصل إليهم، ينتظر أن يؤمنوا به، ويدعموه، ويعززوا موقفه بعد موت عمه وزوجته، فما كان منهم إلا أن كفروا به، وسخروا منه، وأغروا صبيانهم كي يضربوه، وألجئوه إلى حائط، ودعا ربه الدعاء المشهور، فقال:

**(( إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي ))**

[ورد في الأثر]

جاءه ملك الجبال، قال: يا محمد - الآن أعطي صلاحية الانتقام - لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين. إذا استغفر إنسان إنساناً، وتمكن منه يسحقه، قال: لا، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده، ما تخلى عن قومه، ودعا لهم، واعتذر عنهم، ورجا لهم ذرية صالحة، هذا الموقف، هذه مصيبة أن تُكذب، وأن يُسخر منك، و تُضرب.

لكن مرةً خطر في بالي خاطر، لماذا سمح الله لهؤلاء الصبية أن يضربوا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وحبيب الحق، وسيد ولد آدم، ومن أقسم الله بعمره الثمين، ومن بلغ سدرة المنتهى في المقام الأعلى؟ لأن آية داعية إلى يوم القيامة لو أنه أودى في طلب دعوته له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، جبر خاطر.

لماذا اتهمت السيدة عائشة في أعز ما تملك المرأة؟ لأن آية مؤمنة ليوم القيامة لو أنها اتهمت خطأ وظلماً وعدواناً وهي بريئة مما اتهمت به فلها في السيدة عائشة أسوة حسنة. أيها الأخوة، هذه مصائب كشف للأنبياء والمرسلين.

**المراحل التي يجتازها المؤمن أثناء التربية الإلهية حتى يحقق سعادته في الدنيا والآخرة:**

أيها الأخوة، في حياة المؤمن مرحلة اسمها التأديب، ومرحلة اسمها الابتلاء، الطالب أجاب إجابة صحيحة، يقول له المدرس: متأكد؟ يقول: لا، أخطأت، لعله نقلها من صديقه أو سمعها منه، الآن يمتحن، الابتلاء ليس شرطاً أن يسبقه معصية، الابتلاء امتحان المصادقية، امتحان التأكد، فمرحلة يؤدب فيها المؤمن، ومرحلة يبتلى ويمتحن، وفي مرحلة يكرم، هذه



النجاح بالامتحان يقود للسعادة

المراحل تكون متمایزة أو متداخلة، لكن أطمئنكم أن حياة المؤمن إذا أدبه الله، واستقام على أمره، وإذا امتحنه ونجح في الامتحان لا تستقر ولا تستمر إلا على الإكرام، هذا معنى قوله تعالى:

**﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾**

( سورة النحل الآية: 97 )

هذا معنى قوله تعالى:

**﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾**

( سورة الرحمن الآية: 46 )

هذا معنى قول بعض العلماء: " في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة "، هذا معنى قوله تعالى:

**﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**

( سورة الرعد الآية: 28 )

هذا معنى قول أحد العارفين:

فلو شاهدت عينك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا  
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب و جنتنا  
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً في حبنا  
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت قتيلاً و اشتياًقاً لقربنا

إذاً: هذه المصائب، وتلك الإجراءات التي تقتضي سلامة المؤمن، وهي مرحلة التأديب، ومرحلة الامتحان، ومرحلة التكريم.

#### الدعوة البيانية:

أيها الأخوة، كتعليق دقيق جداً، ونحن في أمس الحاجة إليه، الله عز وجل كريم، لطيف، رحيم، في حديث قدسي يذوب القلب له، يقول ربنا جل جلاله فيما يرويه عنه النبي صلى الله عليه وسلم:

**(( ما ترددت - الله لا يتردد - في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المسلم، يكره الموت،**

**وأنا أكره مساعته ولا بد له من الموت ))**

[ أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في الصحيح ]

ربنا عز وجل قبل أن يقبض عبده المؤمن يكره مساعته، هكذا الحديث،

**(( أكره مساعته ))**

هو يكره الموت،

### (( وأنا أكره مسأته ))

إذاً: الله عز وجل قبل أن يسوق للإنسان المصيبة لا بد من أنها ضرورية جداً، فلذلك الله عز وجل يبدأ بالهدى البياني، وأنت صحيح معافى، تتمتع بحواسك الخمس، ولك بيت وأهل وزوجة، ولا تشكو من شيء، يسمعك موضوعاً إسلامياً، يبين لك خطيب المسجد، وأنت جالس حكماً شرعياً، أو موقفاً لصحابي كبير، هذا اسمه الهدى البياني، بيان فقط، مرتاح، خطبة، درس، كتاب، مقالة، ندوة، يبين الله لك الحقيقة، أكمل موقف هذا للهدى البياني أن تستجيب لله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: 24)

فإن لم تستجب أخضعك الله لإجراء آخر، التأديب التربوي:

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

(سورة السجدة الآية: 21)

أكمل موقف في التأديب التربوي أن تتوب إلى الله، فإن لم تتب أخضعك الله لإجراء ثالث، الإكرام الاستدراجي، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(سورة الأنعام الآية: 44)

فإن لم تعد إلى الله جاء الإجراء الرابع الذي لا بد منه، وهو القسم، هكذا، فأسأل الله لي ولكم أن نكون في المرحلة الأولى، الهدى البياني.

**العمل الصالح إن لم يسبقه إيمان بالله لا قيمة له:**



أيها الأخوة، ولكن الشيء الذي أتمنى ألا أذكره أن أبا طالب رغم كل جهده في صون النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الدفاع عنه، وفي تعزيز مكانته لم يُسلم، هذا المغزى خطير جداً، العمل الصالح إن لم يُبَيَّنْ على الإيمان فلا قيمة له، وما من إنسان في أول البعثة قدم خدمة لسيد الأنام كعمه أبي طالب، ومع ذلك لم يُسلم، وكان أبو طالب يحوط النبي صلى الله عليه



وسلم، ويغضب له، وكان ينصره، وكانت قريش تحترمه، وقد جاء زعمائها حين حضرته الوفاة، فحرضوه على التمسك باللات والعزى، وعدم الدخول في الإسلام، وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالحاح طالباً منه أن يتلفظ بالشهادتين ليشهد له بها يوم القيامة، وكان رد عمه عليه: لولا أن تعيرني بها قريش، يقولون: إنما حملة عليها الجزع، لأقررت بها عينك، رفض أن ينطق بالشهادة، ولا أحب أن أكمل، وهذه حكمة بالغة أنه ما من عمل إن لم يُبْنِ على إيمان بالله فهذا العمل يكون هباءً منثوراً.

أيعقل أن يموت الإنسان من دون إيمان بالله، وهذا الكون كله ينطق بوجود الله، ووحدانيته، وكمالهِ؟ أنزل الله عز وجل بعد هذه الحادثة:

**﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**

(سورة القصص الآية: 56)

فإذا كان منا مؤمن بخالق الأكوان فهو في نعمة كبيرة، هناك من لا يستطيع أن ينطق بالشهادة عند الموت، بل عند الموت يذكر الإنسان الشيء الذي كان مهتماً به في حياته، فالذي أمضى حياته في لعب النرد لا يذكر وقت مغادرة الدنيا إلا لعب النرد، والذي أمضى حياته في المعاصي والآثام لا يذكر إلا المعاصي والآثام.

**إليك هذه الروايات التي لا أصل لها في إسلام أبي طالب:**

أيها الأخوة، هناك روايات تقول: أنه أسلم، هذه الروايات لا أصل لها، ليست موثقة، وليست صحيحة، فنحن لا علاقة لنا بذلك، الله عز وجل هو ربه، وهو يتولى أمره، ونحن نتألم ألماً شديداً، ونتمنى أن هذا الإنسان الذي أحاط الدعوة بكل طاقته، وأمدّها بقوته، ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم لعل الله يقبل منه هذا العمل الطيب، وتقييم العباد من شأن الله وحده أما ما نقله ابن إسحاق من أن العباس نظر إلى أبي طالب يحرك شفّتيه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال عليه الصلاة والسلام: لم أسمع، فهو خبر لم يصح.

**ما معنى التالي على الله؟**

أيها الأخوة، لا نريد وهمًا مريحًا، نريد حقيقة مُرّة، الوهم المريح ما له قيمة، مثلاً: ما الذي يحدث الآن؟ يكون تاركًا للصلاة، ما توجه إلى القبلة في حياته، وماله حرام، وغارق بالمشروبات، يموت، يقول أهله: رأيناه في الرؤيا كبة نور، يرتدي ثيابًا بيضاء، هذا كلام لا يصح، أرح نفسك من تقييم الأشخاص، تقييم الأشخاص من شأن الله وحده، وأنت حينما تقيم تطاولت على الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أحد أصحابه، وقد توفاه الله، واسمه أبو السائب، فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك أبا السائب، لقد أكرمك

الله، لو أن النبي سكت لكان كلامها صحيحاً، فسألها: ومن أدراك أن الله أكرمهم؟ قال: قولي: أرجو الله أن يكرمه، وأنا نبي مرسل لا أدري ما يفعل بي ولا بكم، وهو سيد الخلق، هذا سماه العلماء: التآلي على الله، أن تقول: فلان من أهل الجنة، من أنت؟ قل: أرجو أن يكون من أهل الجنة، أو تقول: فلان في النار، من قال لك ذلك؟ إذا تاب قد يسبقك، فأن تحكم على العباد مستقبلاً هذا تآلي على الله، وهذا تطاول على الذات الإلهية.

بل إن العلماء السابقين رحمهم الله تعالى إن كلفوا بتقييم إنسان، يقولون: نحسبه صالحاً، ولا نزكي على الله أحداً.

لما استخلف سيدنا أبو بكر رضي الله عنه عمر بن الخطاب، وخوفه بعض الصحابة بأن عمر شديد على أصحابه، فقال الصديق: أتخوفونني بالله؟ والله لو أن الله سألني يوم القيامة: لم وليت عليهم عمر، لأقولن له: يا رب وليت عليهم أرحمهم، هذا علمي به، فإن بدل وغير فلا علم لي بالغييب.

مثلاً: الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، هذا الإنسان العظيم الذي ترك الإحياء، قال بعد أن مات، ورآه بعض تلاميذه في الرؤيا، وقد قيل له: يا إمام، ما فعل الله بك؟ قال: لم ينفني عملي من شيء، له أعمال كالجبال، لكن الله غفر لي بذويبية، كائن متحرك، حجمه أقل من واحد على مئة بالميليمتر، نقطة سوداء تتحرك على الكتاب، هذه الذويبية، قال: وقفت ذويبية على كلمة كتبتها لتشرب من الحبر، فانظرتها، فرحمني الله بها، هذا خلل في الدين، أعمال، ومؤلفات، وهجرة في سبيل الحق، حتى يقنعك أن الدين ليس بالعمل، أما الحقيقة: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم، قال تعالى:

**﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**

( سورة النحل الآية: 32 )

أي اقتسموا الجنة بأعمالكم، أما أصل دخولها فبرحمة الله.

**المكانة التي تحتلها السيدة خديجة عند رسول الله:**

أيها الأخوة، وقد فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفاة عمه سنداً كبيراً، إذ لم يعد بنو هاشم مستعدين لتقديم القدر نفسه من الحماية للنبي صلى الله عليه وسلم لما يصيبهم من أضرار مادية ونفسية، كما تبين من المقاطعة، أما خديجة بنت خويلد فإنها امرأة عملاقة، إنها امرأة تعلم النساء جميعاً، كيف تكون الزوجة؟ لا تنسوا أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة ركز لواء النصر أمام قبرها، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر، أما خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقد توفيت قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بثلاث سنين، في عام وفاة أبي طالب نفسه، وكانت خديجة وزيرة صدق.

أخوانا الكرام، هناك ملمح في هذه المرأة لا يصدق، حينما جاءه الوحي، وجاء إلى البيت مضطرباً عليه الصلاة والسلام، ماذا قالت له؟ لم يأتِ الوحي بعد، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتطعم الجائع، وتكسو العاري، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتصل الرحم، وتعين نوائب الدهر، أنى لها هذه المعرفة؟ هذه الفطرة.

هل يمكن أن يتخلى الله عن عبده المؤمن المنضبط عند حدود شرعه؟

أيها الأخوة: أي شاب مؤمن، مستقيم، يجب أن يتفائل مهما تكون الظروف صعبة، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

(سورة السجدة الآية: 18)

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(سورة القلم الآية: 35-36)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

(سورة الجاثية الآية: 21)

أيها الأخوة، مستحيل، وألف ألف ألف مستحيل أن يعامل المستقيم كالمنحرف، والصادق كالكاذب، والأمين كالخائن، والمنصف كالجاحد، وأن يستوي هؤلاء مع هؤلاء، هذا لا يتناقض مع عدل الله فحسب - دققوا فيما سأقول - بل يتناقض مع وجود الله، بأي زمان كنت، بأي مكان، بأي ظرف صعب، بأي حالة اضطراب، لك معاملة خاصة، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

(سورة الأنبياء الآية: 88)

يا معاذ،

(( سأل النبي معاذ بن جبل، وكان رديفه على الدابة، ما حق الله على عباده؟ فقال: الله ورسول أعلم، فأعاد عليه السؤال ثانية، يا معاذ، ما حق الله على عباده؟ قال: الله ورسول أعلم، ثم سأله ثالثة، ما حق الله على عباده؟ فقال عليه الصلاة والسلام: حق الله على عباده أن يعبدوه، وألا يشركوا به شيئاً، ثم



كن مع الله ولا تبالي

سأله يا معاذ - الآن دققوا - ما حق العباد على الله إذا هم عبده؟ قال: الله ورسول أعلم، سأله ثانية، وثالثة، ما حق العباد على الله إذا هم عبده؟ فقال عليه الصلاة والسلام: حق العباد على الله إذا هم عبده ألا يعذبهم ((

[أخرجه مسلم في الصحيح]

اطمئنوا، أنت إذا عبدت الله أنشأ الله لك حقاً عليه ألا يعذبك، لذلك:

﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

( سورة الأنبياء الآية: 88 )

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

( سورة الروم الآية: 47 )

#### خاتمة الدرس:

أيها الأخوة الكرام، ننتقل في درس قادم إن شاء الله إلى رحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وهذا العام هو عام الحزن، لأن النبي فقد سنده من الداخل، وفقد سنده من الخارج، فسماه علماء السيرة عام الحزن، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.